قوة الحيوية فى الشعب المصرى

بقلم الاستاذ أحمد محمد فهمى
مدرس بمدرسة الزراعة العليا

مصر بلاد قديمة العهد ، عريقة فى المجد ، متناهية فى القدم ، تحوم حول اسمها خيالات الماضى البعيد ، ويذكر معها إذا ماذكرت أساطير غابة فى العجب ، يدور محورها حول عرائس النيل ، وهيا كل أمون ، وقصر لابيرانتا ، وأبى الهول ، الهازىء بالعالم ، الساكت السكوت الأبدى ، الرابض أمام أهرام خوفو ، والآلهة المعبودة ، والملوك المتوجة ، والكهنة الكبار ، والمعابد المشيدة :

فلكل لبنة حجرة فيها حديث يذكر

وهى لشهرتها القديمة كانت ولا تزال مطمع الفاتحين ، والغزاة من جميع الأمم ، والشعوب ؛ غزاها الرعاة ، والنوب ، والفرس ، واليونان ، والرومان ، والعرب ، والترك ، والفرنسيس ، والانجليز ، وغيرهم ، وملكوها فدانت لحكمهم ، ورضخت لظلمهم ، وصبرت على طغيانهم ، ولكنها لم تهن فيهم ، ولم تفقد يوما حيويتها رغم رغبة الفاتحين الملحة ، وعملهم المتواصل لهذه الغاية ، فحافظت مصر بقوة حيويتها على كيانها رغم هذه المظالم الصارخة ، والاحن المتتالية ، والمصائب التى كانت تصب عليها من كل هؤلاء الفاتحين الطامعين فيها المتكالبين على امتلاكها .

تأمل المومياات المصرية جيداً ، وقارن بينها وبين ملامح الفلاح المصرى تجد سحنة واحدة ، وشبهاً قريباً ؛ حقاً لقد بقى هذا الفلاح القديم بقاء الأهرام ، عمرانه هو عمرانه ، وفأسه هى فأسه لم تتغير ، ولم تتبدل ؛ بقيت على الأيام وداعته ، وكرمه ، ولينه ، وسذاجته ، ودهاؤه ، وملقه ، وتلك والله هى الحيوية العظيمة التى صمدت لمعاول الهدم كل هذا الزمن المتناهى فى القدم .

وقف الشعب المصرى فى جميع أدوار التاريخ وقفة المتفرج أمام خشبة المسرح ، يرى الدول تدول ، والممالك تزول ، والعروش تتقوض ، وهو ثابت كالطود ، أصله ثابت وفرعه فى السماء ، مثلت أمامه كل مآسى الحياة ، ومهازلها وهو ثابت لم يتغير .

قوية جداً تلك الحيوية التى أمكنها البقاء آلاف السنين فى شعب مغلوب على أمره ، محكوم بغيره ، مسلوب الحرية ، غارق فى بحار الجهل ، متسكع فى دياجير الظلام .

هذه الحيوية كامنة فى جسم الشعب المصرى كمون النار فى الصوان ، فهل من زناد تنقدح به هذه النار الخابية ، فتشتعل هذه الحيوية العتيدة المخبوءة بين جوانح هذا الشعب النبيل ؟

حقاً إن إذكاء تلك النار المختبئة تحت رماد الجهل وظلمات الظلم ، لهو أشرف الأعمال التى يجب علينا الالتفات إليها ، وعدم التفريط فيها ؛ بل يجب إشعالها بشدة حتى تصهر بحرارتها كل الشوائب التى علقت بهذا الشعب المسكين فى آلاف الحقب التى مرت به ، وحتى تحرق بلهبها كل الأوهام التى تسلطت عليه ، والخزعبلات التى لحقت به فى حياته الطويلة التى لا يعرف لها التاريخ بدءاً .

هلموا أيها الشباب الناهض ، ويا أيها الرجال المثقفون ، إلى مد أيديكم لهذا الشعب المملوء حياة ، أرشدوه إلى الصراط السوى ، والطريق المستقيم ، نقوا الأشواك من طريقه ، ومهدوا له السبيل لتدارك مافات ، ساعدوه على السير وراءكم فى طريق المدنية ، ادفعوه فى مقدمة مواكب الشعوب السائرة إلى الأمام ، اعملوا جهدكم على إزالة الوصمة المخجلة من جبين هذا الشعب المجيد ، وصمة عدم عرفانه بنفسه ، وإجلاله لقدره

فمن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

أليس من المخجل حقاً أن تدخل متحف الآثار المصرية ـ سيد متاحف الدنيا وفخرها ـ فلا تجد النظارة فيه غير الأجانب القاطنين بين أظهرنا ، وغير السائحين الذين دعاهم سحر مصر القديمة ، فلبوا من كل صوب يهرعون ، هؤلاء الذين يعتقدون أن من شرب من ماء النيل لابد أن يعود إليه يوما من الأيام .

أليس مما يخجلنا أن نذهب إلى أهرام الجيزة ، فلا نرى غير من ذكرنا من الأجانب يتأملون صنع أجدادنا خاشعين مسلوبى العقول أمام هذه الجلالة وتلك العظمة ، فاذا أنت تفقدت أشبال هؤلاء العظام ، فلا تجد منهم أحداً ، أحلف صادقاً غير حانث أن تسعة أعشار سكان مدينة القاهرة ، وسكان جيزة الفسطاط ، لم ير أحد منهم أهرام الجيزة عن كثب ، ولا وقف أمام أبى الهول الأقطس ، المصغى لصوت الطبيعة ، الناظر لمطلع الشمس . علموهم بكل طرائق العلم وضروب المعرفة ، أن لهم ماضياً حافلا بالعظائم مملوءاً بالجلال والجمال والفن .

بذلك تنتبه فيهم تلك الحيوية الكامنة التى ذكرناها فى أول هذا المقال ، فاذا هى تنبهت فيهم ، فانهم لابد عاملون على إعادة هذا المجد القديم ، الذى نسمع كل يوم فى أوربا من يشيد بذكره من العلماء والباحثين ؛ فيوما نسمع أن مدققاً إنجليزياً من علماء الآثار أثبت أن مصر قد احتلت بلاد الانجليز فى الزمن القديم ، وتركت فيها آثاراً تدل عليها ، لأنه اكتشف هناك أثراً من آثار الفن المصرى القديم .

ونسمع يوما أن عالماً أمريكياً أثبت أن المصريين قد اكتشفوا الدنيا الجديدة (أمريكا) قبل أن تراها عينا (كولومبس) بآلاف السنين، وآخر يقول: إن المصريين كانوا يعرفون الكهرباء، ويستعملونها فى الصناعات المعدنية بأحذق مما هى مستعملة اليوم.

قولوا لهم ذلك، وانشروه فى جميع الطبقات، قولوه لهم، وقولوا لهم غيره مما تعرفون، حثوهم على مشاهدة آثار أجدادهم، تقو الحيوية الكامنة فيهم.

قولوا ذلك لأبنائكم وبناتكم، ولقنوه نساءكم، انشروه فى محلاتكم وفى جرائدكم، واعقدوا له الفصول فى كتبكم، اعلنوا عنه بجميع وسائل الاعلان، فنحن أحوج للاعلان عن مصر فى مصر نفسها، وليس فى أوربا وأمريكا، فتعرف الأمة الغارقة فى بحار الأمية الجاهلة بماضيها وحاضرها، أن لها مفاخر ليست لغيرها من أمم الأرض، فتعتز بنفسها، وتشيع فيها فكرة الكبرياء الوطنى، والأنانية القومية - التى تكلمنا عنها فى عدد نوفمبر من «المعرفة» - فتتنبه فيها فضيلة الفخر والحماسة، وتقوى حيويتها الكامنة التى لم تفارقها والتى لازمتها رغم ما رأت من الأحوال، وما كابدت من المصائب من فجر التاريخ حتى الآن.

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ؟

أحمد محمد فهمى

اليابان ونظمها التعليمية

[بقية المنشور على الصفحة رقم ١٠٩٧]

٤ — مع كل ما خولته الحكومة للفتشين من الحقوق فقد احتفظت بحق عزل المعلمين أو توليتهم، إذ لا يمكن ذلك إلا بإذن الوزير وعلمه.

ويلاحظ أن اليابانيين لم يلتفتوا إلى العلم فقط: بل أعطوا الفنون جميعها ما تستحقه من القدر، وفتحوا لها المدارس الكبيرة وأعدوها بكل ما تحتاج إليه من الضروريات: لا بل من الكماليات؛ وهكذا فإن كل ياباني يرى أن نجاح بلاده يتوقف على ثلاثة أشياء: الأول نشر العلم وتعميمه، والثانى تعزيز القوى البحرية والبرية، والثالث تنمية التجارة والزراعة.

فاليابانيون إذاً لم يأخذوا بأمر واحد من الأمور الحيوية، بل علموا سر الحياة وضرورياتها، فأخذوا بناصيتها؛ وذللوا باجتهادهم كل صعب فى سبيل العز والشرف والحياة السعيدة، وهكذا يكون شأن من يليق بالحياة وتليق الحياة به. ؟

[عليكرة الهند] إحسان سامى حق